الفصل السابع والثمانون

من عادات وأساطير الجاهليين

ولأهل الجاهلية عادات وأساطير كثيرة ، وقد اختص العرب بقسم منها ، أما القسم الثاني فهو عام معروف ، عرف عند الساميين والعجم ، وهي مما يقال له (الشعبيات) أو (الفولكلوريات) في مصطلح الافرنج لهذا العهد .

فمن ذلك ما كانوا يفعلونه في أسفارهم إذ كان أحدهم اذا خرج الى سفر عمد الى شجرة من (الرتم) ، فعقد غصناً منهـــا ، فاذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ ، قال : قد خانتني امرأتي ، وإن وجده على حالته قال لم تخني[1] . ويقال لذلك العقد (الرتم) و (الرتمة) . وذكر ان الرجل منهم كان اذا سافر عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها ، فاذا عاد نظر الى ذلك الخيط ، فان وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه ، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال : قد خانتني . ويقال : بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر[2].

وتستعمل (الرتمة) لتذكير الانسان بشيء ، يستعملها من يكثر نسيانه . وهي خيط يعقد في الاصبع للتذكير . وقد يعقد على الخاتم[3] .

ومن اعتقادهم في السفر ان من خرج في سفـر والتفت وراءه لم يتم سفره .

---

١ المستطرف (٢/٧٨) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣١٦ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣/١٢٥) ، اللسان (١٥/١١٦) ، صبح الاعشى (١/٤٠٨) .

٣ تاج العروس (٨/٣٠٣) ، (رتم) .

فان التفت تطير ، وفسره بالعودة . فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود[1].

ومنها التصفيق : كانوا اذا ضل الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومىء الى انسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا ، هيكل ، الساعة الساعة ، إليّ إليّ ، عجّل ، ثم يحرك الناقة فيهتدي . قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنه فلم يدرِ من أي اليدين جوابها[2]

وذكر انه كان يقلب قميصه ويصفق بيديه كأنه بومىء بهما الى انسان فيهتدي[3].

وكان أحدهم اذا أراد دخول قرية ، فخاف وباءها أو جنّها ، وقف على بابها قبل ان يدخلها ، فنهق نهيق الحمار ، ثم علق عليه كعب أرنب ، كأن ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن . ويسمون هذا النهيق التعشير .

وروي ان (عروة بن الورد) خرج الى (خيبر) ليمتار ، فلما قربوا منها، عَشَّرَ من معه ، وعاف (عروة) أن يفعل فعلهم . فيقال : إن رفقته مرضوا، ومات بعضهم ، ونجا (عروة) من الموت والمرض[4] .

وكان مسافرهم إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل ، عمد الى وادٍ ذي شجر ، فأناخ راحلته في قرارته ، وهي القاع المستديرة، وعقلها ، وخط عليها خطاً ، ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادي[5] . والى ذلك أشار القرآن « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[6]. وذكر أنهم كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيّد هذا الوادي من شر ما فيه ، فتقول الجن : ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضراً ولا نفعاً[7] .

ومن عادات بعض العرب أنهم إذا خافوا شر إنسان وأرادوا عدم عودته اليهم، أوقدوا خلفه ناراً ، إذا تحول عنهم ، ليتحول ضبعه معه ، أي شره . وكانوا يقولون : أبعد الله دار فلان وأوقد ناراً اثره ، والمعنى لارجعه الله ولارده[8] .

---

١ المستطرف (٢/٨٠) ، بلوغ الارب (٢/٣٢٨) .
٢ نهاية الارب (٣/١٢٢) ، صبح الاعشى ١/٤٠٥) .
٣ المستطرف (٢/٨٠) ، بلوغ الارب (٢/٣١٦) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣١٥ وما بعدها) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .
٦ الجن ، الآية ٦ .
٧ تفسير الطبري (٢٩/٦٨) .
٨ اللسان (٣/٤٦٦) ، (وقد) .

وإذا غاب انسان ، فلم يقفوا على أثره ، ففي الوسع الاهتداء اليه، وذلك بأن يذهبوا الى بئر قديمة أو حفر قديم ، ثم ينادوا في البئر أو الحفر اسم الغائب ثلاث مرات ، فإن سمعوا صوتاً علموا أنه حي معافى ، وإن لم يسمعوا شيئاً علموا أنه قد مات [1] .

وإذا أرادوا ضمان عدم رجوع الثقلاء ومن لا يرغب في عودتهم ، فإن الثقيل اذا غادر المحل ، عمد صاحب البيت والمكان الى كسر شيء من الأواني أو رمى حجراً خلفه ، وفي ذلك ضمان بألا يعود[2] .

ومن خرافاتهم أن أحدهم كان إذا اشترى داراً أو استخرج ماء عين أو بنى بنياناً وما أشبهه ، ذبح ذبيحة للطيرة . وقد عرفت عندهم بـ (ذبائح الجن) . وكانوا يفعلون ذلك مخافة أن تصيبهم الجن وتؤذيهم . وقد نهي في الإسلام عن ذبائح الجن[3] .

وأوجدوا لدوام الحب علاجاً ، هو شق الرداء والبرقع . زعموا أن المرأة إذا أحبت رجلاً أو أحبها ثم لم تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبها، فإذا فُعل ذلك دام حبها[4] .

وإذا صعب على المرأة العثور على خاطب لها ، فإن في الإمكان تيسير ذلك بنشر جانب من شعرها ، وتكحيل إحدى عينيها ، وتحجيل احدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً ، ثم تقول : « يا لكاح ، أبغي النكاح ، قبل الصباح » ، فيسهل أمرها ، وتتزوج عن قريب[5] .

ومن آرائهم أن الرجل منهم اذا عشق ولم يسل وأفرط عليه العشق ، حمله رجل على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأحمى حديدة أو ميلاً وكوى به بين إليتيه فيذهب عشقه[6] .

ولدوام الحب بين الرجل والمرأة ، يشق الرجل برقع من يحبها وتشق المرأة رداءه ، فيصلح حبهما ويدوم ، فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما[7] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٣ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٣٠) .
٣ اللسان (٢/٤٣٧) ، (ذبح) ، نمار القلوب (ص ٦٩) .
٤ نهاية الارب (٣/١٢٦) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣٣٠) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢١) .
٧ بلوغ الارب (٢/٣٢٢) .

واذا غاب عن النساء من يحبينه أخذن تراباً ، ليرجع سريعاً[1] .

واذا أرادت المقـــلاة ان يعيش ولدها ، ففي الشريف سبع مرات ، وعندئذ يعيش ولدها . وإلا يقتل غدراً . وقد ذكر ذلك في شعر لبشر بن أبي .

ومن عقائدهم ان صاحب الفرس المهقوع اذا ركبه وطمحت الى غيره . والهقعة : دائرة تكون بالفرس في الأكثر[3] .

وكان الصبي اذا بترت شفته ، حمل منخلاً على رأسه ونادى بـ « الحلاء الحلاء ، الطعام الطعام » فتلقي له النساء كسر الخبز والتمر واللحم في المنخل ، ثم يلقى ذلك للكلاب ، فتأكله فيبرأ من المـــرض فان أكل صبي من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب تمرة أو لقمة ، بترت شفته[4] .

وتعالج (الخطفة) و (النظرة) عند الصبيان بتعليق سن ثعلب ، أو سن هرة على الصبي ، فان تلك الأسنان تهرّب الجن . ويهربها كذلك تنقيط شيء من صمغ (السمرة) (حيض السمرة) ، وهي شجرة من شجر الطلع ، بين عيني النُّفَساء ، وخط شيء منه على وجه الصبي خطاً ، فلا تجرؤ الجنية على التقرب من الصبي ، ويقال لذلك (النفرات) . فاذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت :

كانت عليه نفرهْ ثعالب وهررهْ
والحيض حيض السمرهْ[5]

ومن عاداتهم في إبعاد الجن عن الصبيان ، تنفير المولود ، وذلك ان يسميه باسم غريب منفر ، فينفر الجن منه ، ولا يتقربون منه[6] .

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٣٩ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣١٧ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٣) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٢٨) .
٥ نهاية الارب (٣/١٢٤) ، بلـوغ الارب (٢/٣٢٥) ، تـاج العروس (٣/٥٧٨ وما بعدها) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .

وعادة أخذ الغلام اذا ثغر ، السن الساقط ووضعه اياه بين السبابة والإبهام ، واستقبال الشمس ، وقذف السن في عينها ، لا تزال معروفة حتى الآن ، وهم يقولون في ذلك : « ابدليني بسن أحسن منها ، ولتجرِ في ظلمها إياتك »[1] ، أو « أبدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والفلج ، والثَّعَل » . قال طرفة :

بدلته الشمس من منبتِه بردًا أبيضَ مصقولَ الأُشَرِ[2]

واعتقد قوم منهم ان من ولد في القمراء ، تقلصت غرلته ، فكان كالمختون[3] . واعتقدوا ان طول الغرلة من تمام الخلقة وأقرب ما يكون الى السؤدد[4] .

ومن عقائدهم ، أن المولود إذا ولد يتناً ، كان ذلك علامة سوءٍ ، ودليلاً على الفساد . واليتن خروج رجل المولود قبلَ رأسه[5] .

ومن عقائدهم ان الرجل كان اذا ظهرت فيه القوباء عالجها بالريق ، واذا أصيب او أصيبت دابته بالنملة ، وخط عليها ابن المجوسي اذا كان من اخته تبرأ وتنصلح وترأب[6] .

وزعموا أن من أصيب بـ (الهُدَبِد) ، وهو (العَشَا) يكون في العين ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكَبِدْ ألا اذْهَبا بالهُدَبِدْ
ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

ويزعمون أن ذلك يذهب بالعشا بذلك[7] .

وقد زعم الجاهليون أن الطاعون الذي كان يقع كثيراً في الجاهلية فيحصد الناس

---

١ بلوغ الارب (٢/٣١٨) .
٢ نهاية الارب (٣/١٢٢) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٣١) .
٤ تاج العروس (٨/٤١) ، (غرل) ، بلوغ الارب (٢/٣٣١) .
٥ الحيوان (١/٢٨٦) ، (هارون) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣٢٩) ، وتعرف (القوباء) بـ (كوباية) بلغة العامة لهذا العهد .
٧ انه لا يبرىء داء الهدبد مثل القلايا من سنام وكبد
تاج العروس (٢/٥٤٥) ، (الهدبد) ، بلوغ الارب (٢/٣٤٠) .

حصداً ، هو من وخز الجنّ،وأنه من فعلهم في الإنسان ودعوه (رماح الجن)، وذكر ذلك في الشعر فقال أحد الشعراء :

لعمرك ما خشيت على عديّ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على (عديّ) رماح الجن أو إياك جار[1]

وكانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة[2] .

وفي حركات الإنسان دليل ومعان تنبيء عن أشياء . فإذا اختلجت العين دل، ذلك على توقع قدوم شخص غائب محبوب . ولا تزال هذه العادة باقية عند الناس اليوم[3] .

ومن عاداتهم أن أحدهم اذا خدرت رجله ، ذكر أحب الناس اليه، فتنبسط[4].

وكانوا يعقدون الرتم للحمى ، ويرون أن من حلها انتقلت الحمى اليه . قال أحد الشعراء :

حللت رتيمة فمكثت شهراً أكابد كل مكروه الدواء[5]

وقد زعموا أن في البطن حية ، اذا جاع الانسان،عضت على شرسوفه وكبده . وقيل : هو الجوع بعينه ، ليس أنها تعض بعد حصول الجوع[6] .

وكان من عادة الجاهليين حمل ملوكهم على الأعناق إذا اشتد بهم المرض. وهم يعتقدون أنهم بذلك سيتغلبون على المرض ، ويعللون ذلك بأنه أسهل على المريض، وأكثر راحة له من وضعه على الأرض[7] .

واعتقدت العرب ان دمَ الملوك والرؤساء يشفي من عضة الكلب[8] ، وزعموا ان الكَلَب جنون الكلاب المعتري من أكل لحم الانسان . وأجمعت العرب ان

---

١ نمار القلوب (٦٨) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٢٣) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٢١ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٣/١٧٠) ، (خدر) .
٥ بلوغ الارب (٢/٣١٧) .
٦ بلوغ الارب (٢/٣١٣ وما بعدها) .
٧ بلوغ الارب (٣/٢٠ وما بعدها) .
٨ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .

دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيسقاه ، وقيل إن الرجل الكلب يعض انساناً فيأتون رجلاً شريفاً ، فيقطر لهم من دم اصبعه ، فيسقون الكلب فيبرأ[1] .

ومن عقائدهم انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن ان يأخذوا بثأره ، فيأخذون روثة ، ويفتونها على رأسه ، ويقولون : روثة راث ثائرك . وقد يذر على الحية المقتولة يسير رماد ، ويقال لها : قتلك العين فلا ثائر لك . وفي أمثالهم لمن ذهب العين دمه هدر : هو قتيل العين[2] .

واعتقد الجاهليون بـ (السفعة) ، و (السفعة) العين تصيب الانسان : عين إنسية وعين جنية ، و (السفعة) النظرة من الجن[3] .

واذا طالت علة الواحد منهم ، وظنوا ان به مساً من الجن ، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً ، عملوا جمالاً من طين ، وجعلوا عليها جوالق وملؤوها حنطة وشعيراً وتمراً ، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر الى جهة المغرب وقت غروب الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فاذا أصبحوا ، نظروا الى تلك الجمال الطين، فاذا رأوا انها بحالها ، قالوا : لم تقبل الهدية ، فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من المبرة قالوا : قد قبلت الدية ، واستدلوا على شفاء المريض ، وفرحوا ، وضربوا بالدف[4] .

ومن أوابدهم تعليق الحلي والجلاجل على اللديغ ، يرون انه يفيق بذلك، ويقال انه انما يعلق عليه ، لأنهم يرون انه ان نام يسري السم فيه فيهلك ، فشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم . وذهب بعضهم الى انه اذا علق عليه حلي الذهب برأ ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات[5] .

ومن آرائهم في إطفاء نار الحرب انهم كانوا ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفين ، يرون ان ذلك يطفىء نار الحرب ويقودهم الى السلم[6] .

---

١ تاج العروس (١/٤٦٠) ، (كلب) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٥٨) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٦٥) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٥٩) .
٥ والى هذه العقيدة أشار النابغة الذبياني بقوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقس في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها بحلى النساء في يديه قعاقع

بلوغ الارب (٢/٣٠٤) .
٦ بلوغ الارب (٢/٤) .

ومن وسائل إبعاد الجن عن الناس ، وإبعاد عيونهم عنهم ، تعليق كعب الأرنب . يقولون إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من مطايا الجن ، لأنها تحيض . وذكر أيضاً ان من علق على نفسه كعب أرنب ، لم يقربه (عمار الحي) (جنّان الحي) و (جنّان الدار) ، و (عمّار الدار) ولا (شيطان الحماطة) وجانّ العشرة (جار العشيرة) وغول العقر (غول القفر) ، وكل الخوافي وان الله يطفىء نار السعالي[1] . و (الحماطة) شجرة شبيهة بالتين تأوي اليها الحيات[2] .

وكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الأرواح الخبيثة له ، نجسوه بتعليق الأقذار عليه ، كخرقة الحيض وعظام الموتى . وذكروا أن أنفع من ذلك أن تعلق طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك . ويشفي التنجيس من كل شيء ، إلا من العشق[3] .

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : « لا عشت إلا عيش القُراد » . يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة. يزعمون أن القُراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً[4] .

وكانوا يتبركون بأشياء ، منها المدمى من السهام ، الذي ترمي به عدوك ثم يرميك به . وكان الرجل إذا رمى العدو بسهم فأصاب ، ثم رماه به العدو وعليه دم ، جعله في كنانته تبركاً به . ذكر أن (سعداً) قال : « رميت يوم أُحد رجلاً بسهم فقتلته ، ثم رميت بذلك السهم أعرفه ، حتى فعلت ذلك وفعلوه ثلاث مرات ، فقلت: هذا سهم مبارك مدمى فجعلته في كنانتي ،فكان عنده حتى مات»[5].

كان أحدهم يلقى الرجل يخافه في الشهر الحرام ، فيقول : حجراً محجوراً ، أي حرام محرم عليك هذا الشهر ، فلا يبدؤه بشر[6] . وكانوا يقولون ذلك اذا نزلوا مكاناً وخافوا فيه من الجن .

وكان من عاداتهم أنهم كانوا إذا أرادوا أن تورد البقر الماء ، فعافته قدموا ثوراً ، فضربوه،فورد ، فاذا فعلوا ذلك، وردت البقر . وفي ذلك قال الأعشى :

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٣ وما بعدها) .
٢ عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شبطان الحماط أعرف
بلوغ الارب (٢/٣٢٤) ، اللسان (٩/١٤٦) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .
٤ بلوغ الارب (٢/٣٣٩) .
٥ اللسان (١٤/٢٧٠) ، (دمى) .
٦ تاج العروس (٣/١٢٣) ، (حجر) .

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما أن تعاف الماء إلا لتضربا [1]

ويقولون إن الجن تصد البقر عن الماء ، وان الشيطان يركب قرني الثور [2] .

ويظهر أن هذا الاعتقاد من الاعتقادات التي كانت شائعة بين الجاهليين، بدليل وروده في أشعار عدد من الشعراء. وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصدّ الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الماء حتى تهلك [3] .

ومن عاداتهم أيضاً أنهم كانوا اذا وقع العُرُّ في ابلهم ، اعترضوا بعيراً صحيحاً لم يقع ذلك فيه ، فكووا مشفره وعضده وفخذه . يرون أنهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر عن ابلهم [4] .

وذكر أن العرّ قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر ، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . تقول منه: عرت الإبل ، فهي معرورة . قال النابغة الذبياني :

فحملتني ذنب امرىء وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع [5]

وفي المعنى المذكور قول الشاعر :

فألزمتني ذنباً وغيريّ جرّه حنانَيْكَ لا تكوِ الصحيح بأجربا

وقول آخر :

كمن يكوي الصحيح يروم برءاً به من كل جرباء الإهاب [6]

وذكر ان الفصيل كان اذا أصابه العر ، عمدوا الى أمه فكووها، فيبرأ فصيلها [7] .

---

١ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨ وما بعدها) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣٠٣) .

٣ وفي ذلك قال أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة :
اني وقتلي سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
الدميري ، حياة الحيوان (١/١٨٢) ، الحيوان (١/١٨ وما بعدها) ، (هارون) .

٤ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨) ، اللسان (٦/٢٣٠ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/٣٠٥ وما بعدها) ، الحيوان (١/١٧) ، (هارون) .

٥ تاج العروس (٣/٣٩٠) ، (العر) ، اللسان (٤/٥٥٥) ، (عرر) .
وكلفتني ذنب امرىء وتركته كذي العر يكوي غيره وهو راقع
بلوغ الارب (٢/٣٠٥) .

٦ بلوغ الارب (٢/٣٠٥ وما بعدها) .

٧ بلوغ الارب (٢/٣٠٦) .

ومن ذلك انهم كانوا يفقأون عين فحل الإبل ، لئلا تصيبها العين . وكانوا اذا كثرت إبلهم فبلغت الألف ، فقأوا عين الفحل ، فان زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى . وذلك المقفأ والمعمى[1] .

وكانت العرب اذا أجدبت ، وأمسكت السماء عنهم ، وتضايقوا من انحباس المطر ، وأرادوا ان يستمطروا ، عمدوا الى السلع والعُشَر ، فحزموهما، وعقدوهما في أذناب البقر ، وأضرموا فيها النيران ، وأصعدوها في موضع وعر ، واتبعوها، يدعون الله ويستسقون ، وانما يضرمون النار في أذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار . وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات[2] . ويقال لهذا الفعل (التسليع) . وذكر ان التسليع في الجاهلية انهم كانوا اذا أسنتوا ، أي أجدبوا ، علقوا السلع مع العشر بأذناب البقر وحدروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك . ونجد من الرواة من يقول : حدروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار ، ومنهم من يقول : ثم يضرمون فيها النار،وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون[3] .

وقد أشير الى هذا الفعل في الشعر ، قال أمية بن أبي الصلت :

سَلَعٌ ما ، ومثله عُشَرٌ ما عائلٌ ما ، وعالت البيقورا

وقال الورك الطائي (وداك الطائي) :

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت بيقوراً مسلّعة ذريعةً لك بين الله والمطر[4]

ومن السلع « المُسَلّعةُ » ، كانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط القطر ، فتوقر ظهر البقر منها ، وقيل : يعلقون ذلك في أذنابها . ثم تلعج النار فيها يستمطرون بلهب النار المشبه بسنى البرق . وقيل :

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٠٦) ، (وذلك المقفأ والمعمى) ، الحيوان (١/١٧) ، (هارون) .
٢ بلوغ الارب (٢/٣٠١ وما بعدها) .
٣ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) ، تاج العروس (٥/١٣٨٤) ، (سلع) .
٤ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) ، تاج العروس (٥/٣٨٥) ، بلوغ الارب (٢/٣٠٢) ، « الورك الطائي » ، اللسان (٨/١٦١) ، « وداك الطائي » ، تاج العروس (٥/٣٨٥)، (سلع)، ابن فارس، رسالة النبروز (١٨)، (الورل الطائى)، (١٨)، (الورك الطائي)، اللسان (٤/٧٣) .

يضرمون فيها النار ، وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون »[1] .

وقد تعرض (أبو الحسين أحمد بن فارس) لموضوع (البيقور) ، فقال : « كانت العرب اذا أمسكت السماء قطرها ، استمطروا ، فعمدوا الى شجرتين يقال لهما السلع والعشر ، فعقدوهما في أذناب البقر فأضرموا فيها النار ، وأصعدوها في جبلٍ وعرٍ وتبعوا آثارها ، يدعون الله عز وجلّ ويستسقونه . قال ابن الكلبي : وانما يضرمون النار تفاؤلاً للبرق » . « كانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا نحو المغرب من بين الجهات كلها قصداً الى العين ، والعين قبلة العراق . قال العجاج :

سارٍ سَرى من قبل العين فجرّ غُرّ السحاب والمرابيع البكر »[2]

عقيدتهم في الحيوان :

وللجاهليين عقائد في الحيوان . فمنهم من كان يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقاً ، ومنهم من يرى أنها نوع من الجن ، ومنهم من كان يرى أن لبعضها ، مثل الورل والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام ، صلة بالجن ، وأنها مراكب لها ، يمتطونها كما يمتطي الإنسان الخيل والبغال والإبل والحمير[3] .

ومن مراكب الجن ، (العضرفوط) ، قال الشاعر :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذّ وأشهى من وخيد الثعالب
ومن فارة مزمومة شمريسة وخود بردفيها أمام الركائب
ومن عضرفوط حطّ بي من ثنية يبادر سرباً من عظاء قوارب[4]

والعضرفوط دويبة من دواب الجن[5] ، ويقال : العضرفوط ذكر العظاء ، وقيل : دويبة تسمى العسودة ، بيضاء ، ناعمة[6] .

واعتقدوا أن السموم لما فرقت على الحيوانات ، احتبست العظاية (العظاءة)

---

١ اللسان (٨/١٦١) ، (سلع) .
٢ ابن فارس ، رسالة النيروز (١٨ وما بعدها) .
٣ بلوغ الارب (٢/٣٦٠) .
٤ تاج العروس (٥/١٨٣) ، (العضرفوط) .
٥ وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذ وأشهى من ركوب الارانب
ومن عضرفوط حنّ لي فركبته أبادر سربا من عظاء قوارب
بلوغ الارب (٢/٣٦٠) .
٦ اللسان (٧/٣٥١) ، (عضرفوط) .

عند التفرقة حتى نفد السم ، وأخذ كل حيوان قسطاً منه على قدر السبق اليه ، فلم تنل العظاية نصيباً منه ، فخسرته . لذلك صارت تمشي مشياً سريعاً ثم تقف، لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم[1] .

و (الظباء) ماشية الجن ، في زعم بعضهم وهي تسمع وتكلم ، ولهم قصص عنها[2] .

وتزعم العرب أن (الهديل) ، فرخ على عهد (نوح) مات عطشاً ، وضبعه أو صاده جارح من جوارح الطير ، فما من حمامة الا وهي تبكي عليه[3] .

وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، شأن كبير في السحر وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . وسأتحدث عنها في المكان المخصص بالسحر .

وضرب المثل ببخل (أبي حباحب) . من محارب خصفة ، وكان بخيلاً ، فكان لا يوقد ناره الا بالحطب الشخت لئلا ترى ، وقيل : اسمه (حباحب)، فضرب بناره المثل ، لأنه كان لا يوقد الا ناراً ضعيفة ، مخافة الضيفان، فقالوا : نار الحباحب[4] .

وأم حباحب : دويبة ، مثل الجندب ، تطير ، صفراء خضراء ، رقطاء برقط صفرة وخضرة ، ويقولون اذا رأوها : أخرجي بُردى أبي حباحب ، فتنشر جناحيها ، وهما مزينان بأحمر وأصفر[5] .

وللعرب أساطير عن الكواكب ، من ذلك ما ذكروه من ان (الدَّبران) خطب (الثريا) وأراد القمر ان يزوجه منها ، فامتنعت وأعرضت ، وقالت للقمر : ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ فجمع الدبران قلاصه،ووضعها قدامه ، وأخذ يتبعها يريد اقناعها بالزواج منه . ومن ذلك قولهم في (المرزم) ، وهو (الشِعْرى) ، يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . تقول العرب : اذا

---

١ بلوغ الارب (٢/٣٦٠ وما بعدها) ، الدميري ، حياة الحيوان (٢/١٢٢) ، (العظاءة) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣٦١ وما بعدها) ، حياة الحيوان ، للدميري (٢/١٠٢ وما بعدها) ، (الظباء) .

٣ الدميري ، حياة الحيوان (٢/٣٨٢) ، ناج العروس (٨/١٦٤) ، (هدل) ، بلوغ الارب (٢/٢٦٤) .

٤ اللسان (١/٢٩٧) ، (حبحب) .

٥ اللسان (١/٢٩٨) ، (حجب) .

طلعت الشعرى جعل صاحب النحل يرى ، وهما الشعريان : (العبور) التي في (الجوزاء) و (الشعرى الغميصاء) التي في الذراع . تزعم العرب انهما أخت (سهيل) . وقد عبدت طائفة من العرب (الشعرى العبور) . قالوا : انها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها ، فأنزل الله : « وانه هو رب الشعرى » ، وسميت الأخرى (الغميصاء) ، لأن العرب قالت في حديثها انها بكت على أثر العبور حتى غمصت[1] .

وزعموا ان (سهيلاً) كان عشّاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً . وعرف بأنه نجم يماني عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ[2] .

و (الشمس) إلهة عند كثير من الجاهليين ، فتعبدوا لها ، وعدّت صنماً عندهم[3].

ومن أساطيرهم ما تحدثوا به عن (برد العجوز) . حدثوا ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع فيسوء أثره على المواشي ، فلم يكترثوا بقولها ، وجزوا أغنامهم ، واثقين باقبال الربيع ، فلم يلبثوا إلا مديدة حتى وقع برد شديد ، أهلك الزرع والضرع ، فقالوا هذا برد العجوز . يعنون العجوز التي كانت تُنذر به .

وحدثوا : أن عجوزاً كانت بالجاهلية ، ولها ثمانية بنين ، فسألتهم أن يزوجوها وألحت عليهم ، فتآمروا بينهم ، وقالوا : إن قتلناها لم نأمن عشيرتها ، ولكن نكلفها البروز للهواء ثماني ليال ، لكل واحد منا ليلة . فقالوا لها : ان كنت تزعمين أنك شابة ، فابرزي للهواء ثماني ليال ، فإننا نزوّجك بعدها ، فوعدت بذلك ، وتعرت تلك الليلة والزمان شتاء كلب ، وبرزت للهواء . وفعلت مثل ذلك في الليل الآخر ، فلما كانت الليلة السابعة ، ماتت .

ونسب العرب اليها برد الأيام الثمانية ، وأسماؤها : الصنّ ، والصِنبر ، والوبر ، وآمر ، ومؤتمر ، ومعلّل ، ومطفىء الجمر ، ومكفىء الظعن[4] .

ومن الأمور التي تداولوها قولهم في (زمن الفطحل) . وضربهم المثل به . قالوا : أيام كانت الحجارة رطبة ، وإذ كل شيء ينطق[5] . وهو دهر لم يخلق

---

١ تاج العروس (٣/٣٠٥) ، (شعر) .
٢ تاج العروس (٧/٣٨٤) ، (سهل) .
٣ تاج العروس (٤/١٧٢) ، (شمس) .
٤ الثعالبي ، ثمار (١/٣١٣ وما بعدها) .
٥ الثعالبي ، ثمار (٦٤٢ وما بعدها) .

فيه الناس بعد[1] .

وكانوا يعتقدون بالمسخ . وهو تحويل صورة الى أخرى أقبح منها ، وتحويل انسان الى حيوان أو حجر . ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال ، وتبديل (الجن) لهم بأولادهم من ذوي العاهات . وقد زعموا أن (اللات) صنم ثقيف ، كان في الأصل يهودياً يلتّ السويق في (الطائف) فمسخ حجراً ، عبد فصار (اللات).

وللعرب قصص وضعوه على ألسنة الحيوانات نجده في كتب الأدب . ولهم أمثلة وراءها قصص في سبب ضربها . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك . وقد صوّروا بعض الحيوانات ناطقة عاقلة،ونسبوا لها الحكمة والقول الحسن، وصوروا بعضها بليدة غبيّة . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك[2].

واتخذوا من بعض الناس مثلاً على أمر من أمور الحياة . وضربوا بهم الأمثال. فضربوا المثل ببلاغة (سحبان وائل) وبقدرته على الخطابة[3] . وبفصاحة (قس بن ساعدة الايادي)[4] . وجعلوهما المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة عند العرب .

ووضعوا (باقل) مثلاً للعي والبلادة[5] . فما رووه عنه ، أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمرّ بقوم فقالوا : بكم أخذت الظبي ؟ فمدّ يديه ، وأخرج لسانه ، يريد بأصابعه عشرة دراهم وبلسانه درهماً فشرد الظبي حين مدّ يديه ، وكان الظبي تحت إبطه ، فجرى المثل بعيه ، وقيل : أشد عياً من باقل ، وأعيا من باقل،كما قيل أبلغ من سحبان وائل[6] . وذكر أنه كان من ربيعة[7] .

واتخذوا (بيهس) الفَزاري،الملقب بنعامة ، مثلاً للحمق ، فقالوا: أحمق من بيهس . وهو أحد الاخوة السبعة الذين قتلوا،وترك هو لحمقه[8] . زعموا أنه هو القائل:

ألبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

وإنما لقب بيهس بنعامة لأنه كان شديد الصمم ، وإذا دعا الرجل من العرب

---

١ تاج العروس (٨/٦٣) ، (الفطحل) .
٢ راجع كتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب كليلة ودمنة وكتب الادب الاخرى .
٣ الثعالبي ، ثمار (١٠٢ وما بعدها) ، الدينوري ، المعارف (٦١١) .
٤ الثعالبي ، ثمار (٦٠ ، ٩٨ ، ٢٢٢ ، ١٢٤ وما بعدها ، ١٤٢) .
٥ الميداني ، الامثال (٢/٤٣) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٢) .
٦ الثعالبي ، ثمار (١٢٧) .
٧ تاج العروس (٧/٢٣٤) ، (بقل) .
٨ تاج العروس (٤/١١٣) ، (بهس) .

على صاحبه بالصمم، قال: اللهم اصنجه صنجاً كصنج النعامة . والصنج أشد الصمم[1].

وضرب المثل بحمق (هبنقة) ، واسمه (يزيد بن ثروان) أحد بني قيس بن ثعلبة ، الملقب بـ (ذي الودعات) . لقب بـه لأنه جعل من عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته . فسئل عن ذلك ، فقال : لئلا أضل ، أعرف بها نفسي ، فسرقها أخوه في ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه، فقال : أخي أنت أنا ، فمن أنا ؟ فضرب بحمقه المثل . فقيل أحمق من هبنقة[2].

وضربوا المثل بحمق دُغة . وهي بنت منعج ، زوّجت وهي صغيرة في بني العنبر ، فحملت ، فلما ضربها المخاض ظنت انها تحتاج الى الخلاء ، فبرزت الى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها ، فاستهل الوليد ، فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا انها أحدثت . فقالت لأمها : يا أماه ، هل يفتح الجعُر فاه ؟ قالت : نعم ويدعو أباه ، فسبّ بها بنو العَنْبر ، فسموا بني الجعراء[3].

وقيل هي امرأة من بني عجل بن لجيم . وقيل هي : دغة بنت معيج بن إياد ابن نزار . ولدت لعمرو بن جندب بن العنبر[4] . وذكر ان اسمها : مارية بنت ربيعة ، من عجل ، وكانت عند (جندب بن العنبر) فولدت له (عدي بن جندب) ، وكانت حمقاء حسناء[5] .

وضربوا المثل بـ (جوف حمار) . وقالوا : هو أكفر من حمار ، وأخلى من جوف حمار . وهو رجل من عاد ، يقال له حمار بن مويلع،وجوفه واد له طويل عريض . لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، وفيه من كل الثمرات ، فخرج بنوه يتصيدون : فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فكفر . وقال : لا أعبد من فعل هذا ببني ، ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه ، فضرب العرب به المثل في الخراب والخلاء . قال الأفوه الأودي :

وبشؤم البغي والغشم قديماً قد خلا جوف ولم يبق حمار[6]

---

١ الثعالبي ، ثمار (٤٤٥) .
٢ قال الفرزدق :
فلو كان ذا الودع بن ثروان لالتوت به كفه أعني يزيد الهبقا
تاج العروس (٥/٥٣٤) ، (ودع) .
٣ الثعالبي ، ثمار (٣٠٩) .
٤ تاج العروس (١٠/١٢٨) ، (الدغية) .
٥ الدينوري ، المعارف (٦٢٠) .
٦ الثعالبي ، ثمار (٨٤) ، الميداني (١/٢٥٧) .

وذكر ان الجوف واد بأرض عاد ، فيه ماء وشجر ، حماه رجل اسمه حمار وكان له بنون فأصابتهم صاعقة فماتوا ، فكفر كفراً عظيماً وقتل كل من مر به من الناس . فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقته ومن فيه وغاض ماؤه فضربت العرب به المثل . فقالوا : أكفر من حمار ، ووادٍ كجوف الحمار وكجوف العير وأخرب من جوف حمار[1] .

وورد انه (حمار بن مالك) ، وهو رجل من عاد وقيل من العمالقة . كان مسلماً أربعين سنة في كرم وجود ، فخرج بنوه عشرة للصيد ، فأصابتهم صاعقة فهلكوا . فكفر كفراً عظيماً . وقال لا أعبد من فعل ببنيّ هذا . وكان لا يمر بأرضه أحد إلا دعاه الى الكفر ، فان أجابه وإلا قتله . فأهلكه الله وخرب واديه[2].

واذا وعد انسان وعداً ، فعليه الوفاء به ، لأن من شمائل الكريم الوفاء بالوعود والعهود . قالت العرب : « خلاف الوعد من أخلاق الوغد » . وكانت العرب تستعيبه وتستقبحه . وقد ضربوا المثل برجل من العرب في مخالفته المواعيد، فقالوا : « مواعيد عرقوب » . وعرقوب صاحب المواعيد[3] ، قيل : انه من الأوس ، كان أكذب أهل زمانه . فضربت به العرب المثل في الخلف ، فقالوا : مواعيد عرقوب . وذلك انه أتاه سائل ، وهو أخ له ، يسأله شيئاً . فقال له عرقوب: اذا أطلع نخلي ، « وفي رواية : اذا أطلعت هذه النخلة » ، فلما أطلع، أتاه على العِدَة ، قال : اذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ؛ قال : اذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ؛ قال : اذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ؛ قال : اذا أتمر . فلما أتمر ، عمد اليه عرقوب وجدَّهُ ليلاً ، ولم يعطه منه شيئاً . فصارت مثلاً في إخلاف الوعد. وورد:

وأكذب من عرقوب (يثربَ) لهجة وأبين شؤماً في الحوائج من زحل

وورد «مواعيد عرقوب أخاه بيثرب» ، بالثاء وهي باليمامة . ويروى بالمثلثة، وهي مدينة الرسول نفسها. ويقال : هو أرض بني سعد. والأول أصح، وبه فسر قول كعب بن زهير :

كانت مواعيد (عرقوب) لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

---

١ تاج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) ، (٦٣/٦) ، (الجوف) .

٢ فبشؤم الجور والبغي قديما ما خلا جوف ولم يبق حمار
تاج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) .

٣ تاج العروس (٥٣٦/٢ وما بعدها) ، (وعد) .

وورد : « هو أكذب من عرقوب يترب » ، وتقول : « فلان اذا مطل تعقرب واذا وعد تعقرب » . ومن أمثالهم : « الشرّ ألجأه الى مخ عرقوب » « وشر ما أجأك الى مخة عرقوب » ، أي : عرقوب الرجل لأنه لا مخّ له . يضرب هذا عند طلبك من اللئيم أعطاك أو منعك . وهو لغة بني تميم . ومن المستعار : ما أكثر عراقيب هذا الجبل . العراقيب خياشيم الجبال وأطرافها وهي أبعد الطرق ، لأنك تتبع أسهله أين كان . والعراقيب من الأمور كالعراقيل عظامها وصعابها [1] .

وضربوا المثل في الاقامة على الذل برجل من ضبّة ، زعموا أنه عرف عندهم بـ (قضيب) فقالوا : أصبر من قضيب . و (قضيب) رجل آخر تمار بالبحرين، كان يأتي تاجراً فيشتري منه التمر ، ولم يكن يعامل غيره [2] .

وضربوا المثل بـ (حديث خرافة) . زعموا أنه كان رجلاً من (بني عذرة) أو من (بني جهينة) سبته الجن ، فكان يكون معهم ، فاذا استرقوا السمع أخبروه فيخبر أهل الأرض ، فيجدونه كما قال . وقيل: « استهوته الجن واختطفته ثم رجع الى قومه، فكان يحدث بما رأى، يعجب منها الناس، فكذبوه ، فجرى على ألسن الناس وقالوا : هذه خرافة . ويقال أيضاً للخرافات الموضوعة من حديث الليل : حديث خرافة . وذكر أن (عائشة) قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثيني : قلت ما أحدثك حديث خرافة . قال : أما انه قد كان» [3] وذكر أيضاً أنه قال لها : « ان أصدق الأحاديث حديث خرافة » [4] .

---

١ تاج العروس (١/٣٧٨) ، (عرقب) .

٢ ومنه قولهم :

أقيمي عند غنم لا براعي ... من الفل التي نلوى الكثيب

لانتم حين جاء القوم سبرا ... على المحزاة أصبر من قضيب

أي لم تطلبوا بقتلاكم ، فأنتم فى الذل كهذا الرجل ، تاج العروس (١/٤٣٣) ، (قضب) .

لانتم ، يوم جاء القوم سبرا ... على المخراة أصبر من فضيب

اللسان (١/٦٨٠) ، (قضب) .

٣ تاج العروس (٦/٨٣) ، (حرف) .

٤ ابن قتيبة ، المعارف (٦١٠ وما بعدها) ، (حديث خرافة) .